" الوضع الصحي في الحجاز في أواخر عصر الدولة العثمانية "

د نبيل عبد الحي رضوان

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة أم القرى

=======

لم يكن الحج أمرًا هينًا في العصور الإسلامية والعهد العثماني، وإنما كانت رحلة الحج محفوفة بالمخاطر لدرجة أن الخارج فيها يعتبر مفقودًا، والعائد منها إلى أهله يعتبر مولودًا. أو أكثر في الظروف العادية. وقد يجيء موسم الحج في صيف قائظ أو شتاءٍ قارص، وفي كلتا الحالتين كان الحجاج يواجهون أحوالاً صعبة لم يأنسونها، فكم من حاج مات على الطريق من الحر أو القر، وكم منهم من قُضِيَ عطشًا، أو جوعًا أو مرضًا، أو قتلًا[١].

وعانت شمال غرب شبه الجزيرة العربية من سوء الأوضاع الصحية[٢]، خاصة وأنها تضم الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة للمسلمين؛ حيث يتوافد إليها الحجاج من مختلف أقطار العالم، وبالرغم من محاولات الدولة العثمانية في إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل الصحية، والتصدي المستمر للأمراض والأوبئة إلا أن تلك المجهودات صادفتها العديد من العوائق، مثل نقص المخصصات المالية، وضعف البنية التحتية في الحجاز، إضافة إلى تعدد ثقافات وعادات الحجاج، وضعف القدرات المادية للكثير منه، وكذلك اجتماع الحجاج بأعداد كبيرة في زمان ومكان محددين، مع ضعف السيطرة ورقابة الدولة فأدى كل ذلك إلى عدم تحقيق أهداف الدولة العثمانية في المجال الصحي بإقليم الحجاز[٣].

وفي الواقع أن الإدارة العثمانية لا تتحمل مسئولية تردي الأوضاع الصحية، وانتشار الأوبئة في الحجاز، حيث فرضت عوامل أدت إلى انتشار الأمراض والأوبئة وتفشيها بين حجاج طرق الحج، منها[٤]:

١- الأمراض المعدية المرافقة لبعض الحجاج، الذين يفدون إلى البلاد- من شتى أصقاع الأرض- ولم يكن للدولة العثمانية أي سلطان عليهم.

٢- الممارسات الفردية الخاطئة للحجاج أو بعض القائمين على خدمة الحجاج.

٣- شكلت مناطق الحجاز دوراً اقتصادياً في كون طرق القوافل التجارية تمر في أراضيها، حيث كانت تصاحب في موسم الحج ركب الحجيج كأمان لتجارتها، والتي كانت قادمة من الشرق الأقصى باتجاه أفريقيا وأوروبا والعكس، وربما حملت تلك القوافل من بلادها بعض الأمراض المعدية أو الأوبئة.

٤- كما أن للغارات التي تشنها بعض القبائل العربية (الأعراب) على قوافل الحجيج للسلب والنهب، أثرا كبيرًا وما يسببه ترك جثث ملقاة على سطح الأرض حتى تنتن وتجف، وبالتالي تتفشى منها الأمراض، وتظهر الأوبئة، وتتسرب وتنتشر إلى مواضع نائية لتضيف إلى خسائر الإغارة خسائر أخرى فادحة في الأرواح.

٥- لبعض العوامل الجغرافية والطبيعية دور في انتشار الأمراض والأوبئة، وقلة الأمطار في ناحية، وندرتها في ناحية أخرى تسبب الجدب والقحط، واللذان كانا لزاماً للبحث عن الماء والطعام للإنسان، والكلأ لحيواناتهم بأية وسيلة، بغض النظر عن سلامة ما يصل إلى يد الإنسان في ظل تلك الظروف القاسية.

الأمراض والأوبئة في الحجاز:

١- الأمراض:

أ- أبو الرُّكَب[٥]:

يعد مرض أبو الركب من أكثر الأمراض انتشارًا في زمن الصيف[٦]. وقد أصيب به الشريف عون الرفيق، أمير مكة المكرمة (١٢٩٩-١٣١٣هـ/١٨٨٤-١٨٩٨م)، وكان ذلك في عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م، كما أصيب الوالي حسن حلمي باشا في نفس السنة[٧].

ب- أمراض العين:

انتشرت في الحجاز أمراض العين[٨]، والرمد والعمى، وقد أصيب كثير من السكان والعربان بتلك الأمراض، الذين كانوا بحاجة إلى إجراء عمليات جراحة، إلَّا أنه لم يكن يوجد في الحجاز طبيب متخصص في تلك الأمراض، فعرض الشريف عون الرفيق على السلطان عبد

الحميد الثاني، (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦-١٩٠٩م)، تعيين كاظم أفندي ليتولى معالجة المصابين بتلك الأمراض(٩).

كما تنوعت الأمراض التي تصيب الحاج، فمنها ما يصيب الجلد، مثل: البرص، والوضح، والبهق، والحكة، والدمامل، والبثور، والجرب، والقرح، ومنها أمراض داخلية، مثل: أوجاع المعدة والكبد واليَرَقان والصداع والشقيقة، وذات الجنب وأوجاع المفاصل والعظام، والفالج، والسل، والحمر، وأمراض أجهزة البول والبُردَاء وأمراض القلب والرعشة والجنون والأمراض العصبية الأخرى، وغير ذلك من الأمراض(١٠).

ويرى ريزفان في رحلة عودته مع حاج ١٢٩٨-١٢٩٩هـ/١٨٩٨- ١٨٩٩م بأنه ساء الوضع الصحي في ينبع، ولا وسيلة للشرب إلاَّ من ماء الأمطار المخزن في صهاريج المنازل، وما يباع منه لا يمكن شربه إلا في أقصى الأحوال من الضرورة، وبسبب رداءة الماء بأنه لم يَرَ في ينبع إنساناً لا يعاني من آلام البطن والإسهال، ومن ثم فقد زاد عدد الوفيات بين الحجاج، كما أنه لم يتسنَّ له أن يرى قدرًا كبيرًا من الذباب في أي مكان، كما رآه في ينبع، ولا يمكن السير في الشارع إلا ومعك ما يطرده، وليس فيها مستشفى ولا طبيب ولا صيدلية حتى في فترة ازدحامها بالحجاج المغادرين إلى أوطانهم(١١).

٢- الأوبئة:

يمثل الحج لبيت الله الحرام أكبر تجمع للمسلمين، وتلاحم الوافدين عليه خلال إقامتهم بالحرمين وأدائهم لشعائرهم، وإن كل التجمعات البشرية تتعرض لأخطار الأوبئة والأمراض المعدية، فمن الطبيعي أن تظهر بعض الحالات الوبائية التي تختلف في خطورتها وأثرها وانتشارها عبر السنين. لذلك يحرص المسلمون حكومات وأفراد على اتخاذ الوسائل التي تضفي سلامة الحجيج، ومنها سعي الفرد والمجتمع المسلم على السلامة الصحية بما فُرِض عليه من النظافة المتواصلة بالوضوء والأغتسال ونظافة الثوب والمصلى والمسكن وغير ذلك.

الوباء مفرد أوبئة، وهو كل مرض يفتك بالناس فتكًا، ينتقل بالعدوى السريعة، ويودي بحياة صاحبه، ولقد عَرِفَهُ وعده العرب قبل الإسلام وبعده من الأوبئة، ومن أشهر تلك الأوبئة التي عرفها العرب: الطاعون، والجدري، والهيضة، والعدسة. ويبدو أن العدسة كانت من أكثر الأمراض الوبائية، إلاَّ أن الطاعون المرض العام والوباء كان منتشرًا ومعروفًا في الحجاز وسائر أنحاء شبه الجزيرة العربية. وقد جعل بعض العلماء الطاعون نوعًا من أنواع الوباء [١٢]، وفرَّق بينهما بعض علماء اللغة، وجعلوا الوباء المرض العام عامة مهما كان، مثل انتشار الحمى والجُدَري والنزلات والحكة والأورام[١٣]. وقد ذُكرت الأوبئة في كتب الحديث[١٤].

ويذكر الغازي أنه: أُخْتِلِفَ في الوباء هل هو الطاعون بعينه أو هو أعم، وهو الصحيح، فقد صرَّح قوم من المتكلمين وشُرّاح البخاري، وشراح مسلم، وغيره: أن الوباء اسم لكل مرض عام، وأن كل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعون[١٥]، وفي معاجم اللغة: الوباء محركة: الطاعون، أو كُلُّ مرض عام [١٦].

إنَّ كل مرض قاتل فتاك ينتقل بالعدوى ويودي بحياة صاحبه عُدَّ من الأوبئة، حيث كانت الأوبئة تفتك بالناس فتكًا، و أشهر الأوبئة التي عُرفت هي: الطاعون، لأنه كان أكثر انتشارًا وفتكًا، فهو المرض العام والوباء – كما سبق –والمنتشر والمعروف في الحجاز، بل في سائر أنحاء شبه الجزيرة العربية[١٧].

هذا، ولقد سجل العديد من الرحالة ممن أدوا مناسك الحج على تعاقب السنين، مما يجده الباحث والقارئ في ثنايا كتاباتهم لرحلات الحج، فيما شاهدوه من أوضاع صحية مترديه، ومن انتشار أوبئة، ومن وفات العشرات، أو المئات أو الألوف من الحجاج، بسبب الأوبئة، أو لقلة العناية بالنظافة العامة في مشاعر الحج.

كما أن من أخطر الأوبئة التي عرفتها منطقة الحجاز وباء الكوليرا، وهي عدوى معوية حادة تنشأ بسبب تناول طعام أو ماء ملوث ببكتيريا الضمة الكوليرية، تنتج ذيفانًا معويًا، يؤدي

إلى حدوث إسهال مائي غزير غير مؤلم يمكن أن يُفضي إلى جفاف شديد، وإلى الوفاة إذا لم يعط العلاج فورًا[١٨].

ولقد ذكر الدحلان أنه في شهر ذي القعدة من عام ١٢٤٦هـ[١٩]/١٨٣١م، حصل وباء بمكة المكرمة لأول مرة لم يعرفه الناس قبل تلك السنة. ثم بعد هذه السنة تكرر مجيئه بمكة المكرمة مرات، لكنه ما جاء في السنين التي بعد هذه السنة، فإنه كان شديد الكثرة، مات فيه خلق كثير لا يمكن ضبطهم ولا إحصاؤهم. وكان ابتداؤه من شهر شوال من السنة المذكورة. وكان ابتداء وقوعه في التكرور والجَبَرْت، فلم يكترث الناس به ولم ينزعجوا منه. ثم إنه في النصف من شهر ذي القعدة أصاب كثيرًا من أهل مكة المكرمة ومن الحجاج ومن كل صنف ولم يزل يتزايد، واشتد أمره في أيام منى حتى صار الموتى مطروحين في الطرقات. ونزل الناس من منى والجمال محملة بالأموات. واشتد أيضاً بمكة المكرمة بعد النزول من منى، وامتلأت الأسواق والطرقات من الأموات، وعجز الناس عن تجهيزهم ودفنهم. فخرج الشريف محمد بن عون، أمير مكة المكرمة (١٢٧٢-١٢٧٤هـ/١٢٧٣- ١٢٧٥م) بنفسه راكبًا ومعه بعض أتباعه وصار يمر على بعض الطرقات والأسواق، ويأمر الناس بتجهيز الموتى ودفنهم ، وأعطاهم ما يحتاجون إليه من الأكفان، وامتلأت القبور من الأموات فحفروا حفائر كثيرة، وصاروا يضعون في كل حفرة جملة من الأموات، وقاسى الناس من ذلك الوباء هولاً شديدًا. واستمر ذلك الوباء إلى عشرين من شهر ذي الحجة، ثم ارتفع شيئاً فشيئًا[٢٠].

كان لانتشار الأوبئة في الحجاز أن حمل الحجاج معهم مرض الكوليرا إلى مصر وتركيا، وإثر ذلك تم تطبيق حجر صحي صارم على السفن القادمة إلى الدولة العثمانية ثم تتالى ظهور الكوليرا بعد ذلك في مواسم الحج، أعوام: ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م، ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٩م، ١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م، وأثر في وفاة عشرات الآلاف من الحجاج ثم اختفى بعد ذلك، إلا أنه عاد وبشدة عام ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م، حيث أودى بحياة خمسة عشر ألف حاج[٢١]. كما كان للكوليرا ظهور خفيف بالحجاز، في أعوام ١٢٦٨هـ، ١٨٥١م، ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م، ١٢٧٧هـ، ١٨٦٠م[٢٢].

ففي عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م، كان وباء الكوليرا شديدًا بمكة المكرمة، حيث ابتداؤه ثاني يوم النحر، واستمر لمدة سبعة أيام [٢٣]لم ير مثلها حتى ذلك التاريخ، وكثر الموت جدًا إلى أن بلغ من يموت في اليوم نحو الألف[٢٤]، ثم انتقل إلى مصر عند وصول الحجاج، وكذا إستانبول وبلاد الترك وبلاد النصاري-يقصد هنا قافلة الحج الشامي- فأجمع الحكماء أن هذا من كثرة العفونة بمنى ومكة المكرمة، فبسبب ذلك يتغير الهواء فيحصل تغير في الأمزجة، ويحصل الوباء ويموت الخلق. ووصلت الأوامر إلى مكة المكرمة، فشرعوا في تنظيف مكة المكرمة ومنى، وبنوا بها نحو خمسمائة كنيف (مرحاض)، وكذلك جعلوا محلات تذبح فيها الهدايا، وكان قبل ذلك تذبح في أي مكان[٢٥].

لقد كلف السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، الطبيب القائمقام شاكر بالسفر من إستانبول إلى الحجاز بحرًا ليعد تقريرًا عن الأحوال الصحية في الحجاز، في ذلك العهد، ووسائل إصلاحها، حيث اشتمل تقريره على وصف الحالة الصحية في المدينة المنورة، كما تناول حالات الكوليرا في موسم الحج[٢٦].

هذا، وقد كانت الدولة العثمانية قبل كل موسم حج، من ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م-١٢٨٤هـ/ ١٨٦٨م، ترسل لجنة طبية إلى الحجاز للوقوف على أسباب ظهور وباء الكوليرا ومكافحته، ورفع تقرير من التدابير اللازم اتخاذها حيال مكافحة ذلك الوباء والحيلولة دون ظهوره من جديد، حيث بذلت تلك اللجان الصحية أقصى ما في وسعها من أعمال صحية. كما أن الدولة العثمانية وبالرغم من ظروفها الاقتصادية الحرجة، لم تتوان عن توفير كل ما يلزم من أموال، وجَعْلِها تحت تصرف تلك الهيئات، حتى لا يخرج الأمر عن سيطرتها، خصوصًا أن الدولة العثمانية كانت تعلم تمامًا أن أي تراخٍ في هذا الجانب كان سَيُمَكِّنْ الدول الاستعمارية الأوروبية التي تسيطر وتحتل وتحكم شعوبًا عربية وإسلامية من استغلال الفرصة للتدخل في شئون الحجاز الداخلية[٢٧].

إنه في عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، عادت الكوليرا للظهور من جديد في مكة المكرمة، ثم اختفت عدة سنوات لتعاود الظهور مرة أخرى في عام ١٢٩٤/ ١٨٧٧م، وفي المدة ١٢٩٨-

١٣١٢هـ/ ١٨٨١- ١٨٩٥م، ظهرت الكوليرا ست مرات في أعوام ١٢٩٨هـ، ١٨٨١م، ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م، ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م، ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م، ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م، ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م[٢٨].

و ساعد على ظهور وباء الكوليرا المكثف عوامل عدة، منها السرعة الكبيرة التي تحققت في وسائل المواصلات والانتقال بالطرق البحرية، والزيادة العامة في أعداد الحجاج الناجمة من سهولة وسيلة المواصلات تلك، وكذلك الزيادة الكبيرة في أعداد الحجاج الفقراء والمتسولين الذين يشدون الرحال للحج دون أن يكون معهم ما يسدون به رمقهم خلال رحلتهم الطويلة، ويذكر ليدز أنه رأى منهم من لا يملك قطعة نقدية واحدة، وقد مات اثنان منهم في طريق عرفات الصحراوي لأنهما لا يملكان ما يشتريان به جرعة ماء. ومن ثم فقد كانا أوعية جيدة لنقل المرض، والظروف المعيشية والصحية الصعبة في أماكن المناسك، وميول السكان الأصليين، والحجاج وعادات النظافة والتغذية، وضعف البنية الأساسية في الحجاز، وعلى رأسها الصرف الصحي، كل ذلك أدى إلى سرعة ظهور ميكروبات كوليرا غير معروفة، وانتشارها في سهولة ويسر[٢٩].

وكان انتشار الوباء- أيضًا- بين الحجاج من السفن التي تنقل الحجاج إلى الحجاز، وكذلك عدم الاهتمام بالرعاية الصحية، وبالأمراض التي تنتشر في السفن بسبب الازدحام الشديد، مما يعرقل القيام بأعمال صحية وتنظيفية لازمة في تلك السفن؛ مما يؤدي إلى انتشار مختلف الأمراض الوبائية بين الحجاج، بالإضافة إلى عدم خبرة الأطباء المعينين في السفن بعد تخرجهم، وهم لم تتكون لديهم أي خبرة أو تجربة عملية في التعامل مع المرض. كما أن السفن التي لا يُسمح لها بحمل أكثر من سبعمائة حاج تقوم بحمل ألف وأربعمائة أو أكثر، وأن ربابين السفن يرمون أجساد الموتى المتوفين في البحر حتى لا ينتشر المرض بين الركاب، إلاَّ أن المرض سرعان ما كان ينتشر في أطراف العالم[٣٠].

ويذكر صادق باشا في العودة من رحلة الحج في يوم الجمعة ١٢٩٧هـ، ٢١ يناير ١٨٨٠م، أنه قد حضر سعادة رؤوف باشا محافظ السويس وحكيمباشي الحجر الصحي (الكرنتينة) والمأمورون، ونظروا الحجاج وأخذوا تعدادهم وتعداد دوابهم، وهم واقفون بالبعد

عنهم، وجعلوا ثماني وأربعين ساعة (يومين) كرنتينة، أي حجر صحي، على الحجاج، ولما كان وجود الجمال معهم زادوها إلى اثنتين وسبعين ساعة (ثلاثة أيام) من ابتداء وصول الحاج إلى محل الحجر الصحي، أما الخيول والبغال والحمير فزادوا بإبقائها بالحجر الصحي واحدًا وعشرين يومًا. ويضيف أنه بعد مرور يومين، أي في يوم الأحد ٢٢ صفر الموافق ٢٣ يناير حضر سعادة محافظ السويس وحكيمباشي الصحة ومأمور الكرنتينة وفرزوا أي فحصوا الآدميين والمواشي، وأفرجوا عمَّنْ بالحجر الصحي، إلا الخيل والبغال والحمير لحين انقضاء المدة(٣١).

كما يذكر صادق باشا في حجة عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م، أنه حضر بمكة المكرمة في هذا العام حكيمان (طبيبان) برتبة أميرالاي، أحدهما حضرة عبد الرحمن بيك الهواري، أحد خواجات (معلم أو مدرس) مدرسة الطب بمصر، والآخر يدعى أحمد بيك الشافعي حكيم جدة، وهما تابعان للحكومة المصرية، ليكونا مع الحجاج بمنى ويخبرا بما يشاهدا من وباء أو غيره، ومبلغ ما صرف عليهما من الصرة(٣٢) نقداً عشرة آلاف وتسعمائة وأربعة وعشرون قرشاً، فضلاً عن ما حضر معهما من الصناديق المملوءة بالأدوية، التي صُرفت بمعرفتهما(٣٣).

وفي عام ١٢٩٨هـ/١٨٨١م قامت الدولة بأخذ التدابير الصحية اللازمة بعد ظهور الكوليرا في مكة المكرمة ووفاة مائتي حاج ، كما تم منع الحجاج إلى مكة المكرمة لمنع انتشارها إلى الخارج(٣٤) .

وفي عام ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م(٣٥)، ظهر وباء الكوليرا في ثالث أيام منى، واضطر جميع الحجاج والأهالي إلى النزول من منى، وكثر عدد الوفيات في الحجاج والأهالي؛ فأمر الشريف عون الرفيق بتسفير المحامل(٣٦) والحجاج في غير أوانها، واستمر هذا الوباء إلى آخر شهر ذي الحجة، وقُدِّرت وفيات الحجاج وغيرهم في مكة المكرمة بحوالي ٤٠٠٠ شخصٍ، كما انتقل ذلك الوباء إلى المدينة المنورة، وتوفي ثلاثة من أهلها(٣٧).

وفي العام التالي ظهر وباء الكوليرا في ثاني أيام العيد في منى، وفي غضون ساعتين نُقل إلى القسم الصحي خمسة حجاج ظهرت عليهم كل أعراض الكوليرا. وبعد ظهر اليوم

نفسه أُعلن عن ظهور الكوليرا في منى، وتوفي من الحجاج خلق كثير، بينما كانت نسبة الوفاة بين الأهالي قليلة، وانقطع ذلك الوباء بعد عشرة أيام من حدوثه. ووفقاً لتقرير لجنة الحج فإن الكوليرا حُمِلت من الهند(٣٨).

لقد كان وباء الكوليرا عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م من أشد الأوبئة التي شهدتها مكة المكرمة في ذلك الموسم، والتي يعبر أهل مكة المكرمة عنها (بالشوطة)، إذ بلغ عددهم ما بين ٢٠٠٥٠٠ حاج و ٣٠٠٠٠٠حاج، هذا بالإضافة إلى ارتفاع عدد الأضاحي الذي بلغ في حج ذلك العام حوالي ١٢٠٠٠٠ أضحية.

مما اضطر معه آلاف الحجاج أن ينقطعوا عن إتمام المناسك ويغادروا منى في أول أيام النحر، ومن جراء ذلك جلبت الحكومة العثمانية آلة لتبخير الملابس نصبتها في جوار بستان العواجي، على يمين الصاعد إلى منى، بعد أن يمر بربع الحجون. وهو إجراء غير عملي، فقد كان المهيمنون على المنجرة يوقفون قوافل الجمال وينزلون عفش الحجاج ليبخروه مما تسبب معه عطل ومشقة أدت إلى ثبور البدو والجمَّالة، ويقومون عليها بالهدم والتكسير(٣٩).

وقد أسفر الوباء في ذلك العام عن اتهام الدول الأوربية للدولة العثمانية بإهمال الشئون الصحية في الحجاز، وأدى ذلك إلى تدخل وتحكم الدول الأوروبية في حركة الحج، مستفيدة من ذلك الوضع، فقامت بترتيب مؤتمرات صحة عالمية للتدخل في شئون الحجاز الصحية(٤٠).

واستمر ظهور وباء الكوليرا في الحجاز، ففي عام ١٣١٩هـ/١٩٢٠م حصل أيضاً وباء ماحق توفي ٤٠٠٠ شخص كان من بينهم الحجاج الهنود، وبعد انتهاء موسم الحج، أمر الشريف عون الرفيق، بتسفير المصابين، فلما خرجوا من مكة المكرمة انقطع عنها ذلك الوباء(٤١).

وهناك من يصف حالة المرض من الحجاج عند قدومهم بأن منظر هؤلاء المساكين تتقطع له القلوب أسىً، تسمع حشرجاتهم، وبعضهم مُمَدد على أسرة من القش، وبعضهم على مفارش أو حصائر قذرة، وبعضهم الآخر على أديم الأرض، إنه مستودع حقيقي للمحكوم عليهم بالإعدام، فموظفو الخدمات الصحية يفترضون أن كل المرضى مصابون بالكوليرا، ولكنه من المحتمل أن عدداً منهم ليسوا إلاَّ أناسًا أنَهكهم التعب لتقدمه في السن، وهم يتوسلون للموظفين لإخراجهم، وليقدموا لهم قليلًا من الماء والغذاء، لكن الأغذية والماء لا يقدمان إلاَّ لمن يدفع ثمنها، علمًا بأن مدخرات أغلب هؤلاء المرضى تكون قد نفذت من قبل(٤٢).

ويذكر بروست من خلال رحلته إلى الحجاز ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م(٤٣)، أن هناك لجنة صحية في الحجاز والأعمال التي تقوم بها والتدابير التي تتخذها في مواجهة الأمراض المعدية، حيث إن تلك اللجنة الصحية تتكون من طبيب بالمدينة المنورة، والطبيب الأول في مكة المكرمة، والطبيب الثاني في جدة، والطبيب المسلم في جزيرة قمران، وذلك تحت رئاسة الرئيس العام للأعمال الصحية بالدولة العثمانية. وقد خصص لهذه اللجنة مبلغ خمسين ألف قرش، أي ما يعادل ١١.٥٠٠ فرنك. وذُكر أن عدد الحجاج المجتمعين في مكة المكرمة عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م، كان ٣٠٠ ألف حاج(٤٤).

كما ذكر بروست أن الطبيب أرنست هرت (Arnest Hert) قدم تقريرًا صحيًا في عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م، وضح فيه العلاقة بين الطاعون والحج في مكة المكرمة، مشيرًا إلى أن الوسيلة الوحيدة لإنتشار المرض هو الماء، ولذلك فقد حَذَّر الحجاج من الاغتسال بماء زمزم، مدعيًا بأن المشرفين على الماء غير نظيفين، وهم يتسببون في نشر الأوساخ في الماء، الذي يشرب منه الحجاج، فينتقل إليهم المرض(٤٥).

وفي عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م، حصل أيضًا وباء ماحق، وظل الحال على ذلك السوء، إلاَّ من عناية طفيفة من إدارة الصحة التي أسسها عثمان نوري باشا(٤٦).

هذا، ولما كانت الدول الاستعمارية، بصفة عامة وإنجلترا وفرنسا بصفة خاصة قد بسطت نفوذها على العالم العربي والإسلامي، في معظمه، حيث توزعت أقطاره بعد سقوط الدولة العثمانية، فقد اهتمت بعض هذه الدول ومنها فرنسا وإنجلترا بتسجيل حالة مشاعر الحج الصحية مستغلة أوضاعها المتدهورة لمحاولة تعزيز نفوذها في الحجاز، وادعت إنجلترا أن سبب انتشار الكوليرا أيام الحج هو ماء زمزم، ولحوم الأضاحي في منى، وتلوث مياه المشاعر المقدسة، هذا دفع منافستها– فرنسا– الإستعمارية، وخوفها من وصول الأوبئة إليها مع الحجاج، الذين تستعمر بلادهم، مما دعا فرنسا بعد موسم حج عام ١٢٨١هـ/١٨٦٥م إلى عقد مؤتمر دولي حول قضية مكافحة الكوليرا في الشرق،ولتدويل موضوع الوضع الصحي في أيام الحج، وعليه فنظمت له مؤتمرات دولية في إستانبول عام١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م، حيث توصل المؤتمر الدولي إلى ضرورة تأسيس محاجر صحية على سواحل البحر الأحمر تابعة لإدارة المجلس الصحي بإستانبول، وتشكيل هيئة تكلف بخدمة الضبط الصحي بمكة المكرمة على أن تتولى الدولة العثمانية تشكيلها. إن ذلك يعني أن المؤتمر كان قد قرر ترك مسألة حماية أوروبا من الأمراض الجنوبية إلى الدول العثمانية بدعوى أن وباء الكوليرا الكبير كان قد انطلق من الحجاز(٤٧).

هذا، ولقد قامت الدولة العثمانية بإجراءات صحية في الحجاز، كما يلي:

أولًا: مكة المكرمة:

١) الإدارة الصحية:

تشكلت في عام ١٣١٢هـ/١٨٩٥م، كأول إدارة صحية بالحجاز، وكانت تابعة لمجلس صحة عاصمة الدولة العثمانية في إستانبول، وكان لها مخصصات من نظارة (وزارة) المالية. وعليه فقد تشكلت اللجنة الصحية في مكة المكرمة من: مدير وستة أطباء في موسم الحج، ورئيس للصيادلة، وصيدليين يعملان أثناء موسم الحج، وثلاثة من موظفي الأمن الصحي، وكاتبين، وأمين خزانة ورئيس حراس، وأربعة وعشرين حارسًا دائمين، واثني عشر

حارسًا مؤقتين، وكانت مهمتهم القيام بعملية التبخير، كما كان هناك ثمانية من المسعفين يعملون إبان موسم الحج(٤٨).

لقد كانت مهام وأداء الإدارة الصحية فيما يلي(٤٩):

- الكشف عن المرضى وعلاجهم مجانًا، وعليه فقد أرسلت الدولة العثمانية الطبيب صالح صبري، إلى الحجاز عام ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م، والذي أعد تقريرًا عن الحج والحجاج والتدابير التي ينبغي اتخاذها تجاه الأمراض ولاسيما ضرورة الاشتراط على الحجاج بالتطعيم ضد الجدري، كما اشار في لائحته التي قدمها إلى نظارة الصحة العثمانية عن وجوب منع الحجاج القادمين من البلاد التي ظهر فيها مرض الطاعون الوبائي، وذلك لمدة عدة سنوات.

- العمل على منع وقوع الازدحام في موسم الحج.

- الاهتمام بنظافة الشوارع، ووضع صناديق للقمامة في كل شارع، ولذلك خصصت الدولة العثمانية لأعمال النظافة كوقاية من تفشي الأمراض، في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة مبلغ ألفي ليرى، أي ما يعادل (٤٦) ألف فرنك.

- العناية بمساكن الحجاج، من حيث النظافة، وتوافر الشروط الصحية، كدخول الشمس والهواء إليها.

- متابعة أماكن بيع المأكولات والمشروبات، ومنع الضار منها، وخاصة في موسم الحج.

- دفن الجيف (الذبائح)، وحماية مصادر المياه من التلوث.

- العمل على سرعة عزل المصابين بالأمراض الوبائية، وبخاصة الكوليرا، وتبخير المنازل والمواقع التي ظهرت بها.

٢) المستشفيات[٥٠]:

لقد أُنشئت العديد من المستشفيات في مكة المكرمة، وهي ما يلي:

أ- مستشفى الغرباء والفقراء:

أنشئت في عام ١٠٨٦هـ/١٦٧٥م، كما كان مكتوبًا عليه، في عهد السلطان محمد خان الرابع (١٠٥٨هـ/١٦٤٩م- ١٠٠هـ/١٦٨٨م)، وكان يقع- نظرًا للتوسعات- في الجهة الشرقية من المسجد الحرام، وضم المستشفى- خلال العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ التاسع عشر والعشرين الميلادي، طبيبًا وجراحًا، وصيدليًا، وكاتبًا، ومديراً، ولقد تميز طاقم المستشفى بالاستقرار، كما كانت الأدوية تأتي إلى هذا المستشفى من الأستانة، أما الأغذية المفروشات فمن ديوان مكة المكرمة. ونظراً لتزايد أعداد المرضى، فقد أمر السلطان عبد الحميد الثاني، بإضافة طابق ثانٍ للمستشفى[٥١].

هذا، ويضيف دولتشين عن المستشفى عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، بقوله: "كانت مفروشاته جيدة نسبيًّا، فتحت تصرف المرضى أسرة ملائمة، ولوازم فراش نظيفة، وطعام جيد، ويلقون عناية جيدة"[٥٢]، بينما نجد رفعت باشا يصفها حينما زارها في عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، حيث مر بأقسام المستشفى، حيث يقول: "فوجدت إهمالًا شديدًا لاسيما قسم الأمراض العفنة، فالملابس والمفروشات في غاية القذارة تنبعث عنها الروائح الكريهة، ولا يصلحها إلاَّ حرقها، وقد اعترف الطبيب، الذي صاحبني بذلك، وكان يريد عدم مروري بهذا القسم من شدة عفونته. وقد رأيت كثيرًا من المرضى نائمين على الألواح، وقد اشتد بهم المرض حتى صيرهم هياكل عظمية.. وأن مرضى هذا حالهم لا ينتظر إبراؤهم من مرضهم وهم يتنشقون تلك الروائح الخبيثة التي تفتك بالأصحاء، فضلاً عن المرضى... وبلغني أنه قلما يدخل فيها مريض فيشفى، فإذا كان ذلك شأنها فإغلاقها خير من فتحها، فإن الهواء النقي قد يشفي المريض مما أَلَمَّ به"[٥٣].

ب- المستشفى العسكري:

كان في مكة المكرمة مستشفى عسكري خاص بعلاج جنود الدولة العثمانية المقيمين فيها[٥٤]، وقد ضم كل طابور من طوابير التشكيلات العسكرية بمكة المكرمة طبيبًا، وجراحًا، وصيدليًا . ويبدو أنه أنشئ قبل عام ١٢٩٨هـ/١٨٨١م ، وتم إعداده كمستشفى بتحويل قلعة فلفل الكائنة على جبل لعلع في الفلق إلى مستشفى عسكري في بداية فترة ولاية عثمان نوري باشا[٥٥] على مكة المكرمة [٥٦].

ج- المركز الصحي بأجياد:

لما كانت الحاجة الماسة- نظرًا لتفشي الوباء وكثرة المرضى، فقد سعى في أوائل القرن الرابع عشر الهجري الوالي السيد عثمان نوري باشا، نحو إنشاء مركز أو دائرة صحية، حيث كان بها طبيب، وصيدلي، ومضمد للجراح[٥٧].

د- مُستخانة[٥٨] منى:

بناها السيد عثمان نوري باشا في سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م[٥٩]، وكانت تتسع لأربعين سريراً، كما كانت تضم صيدلية[٦٠].

هذا، ويروي بروست في رحلته للحج عام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، عن قدوم المشير أسعد باشا إلى جدة في مارس/ آزار من عام ١٣١١هـ/١٨٩٤م للشروع في إنشاء مستشفى خيري في مكة المكرمة يقوم بتقديم الخدمات الصحية اللازمة للحجاج، حيث يستوعب ١٤٠٠ حاج، وأن العمل جارٍ في إنشاء مستشفى أخرى في مكة المكرمة باسم دار الخيرات، ويستوعب ٣٠٠ سرير، وآخر في منى يستوعب ٢٠٠ سرير، وأنه سوف يتم تشكيل صيدلية بجانبهما وحمامات نظيفة. وتبين أنه من ضمن التدابير الصحية التي ينبغي اتخاذها، والتي قدمها طرخان بك إلى مؤتمر باريس الصحي، وذلك بتوسعة مستشفى دار العجزة، أي الغرباء والفقراء، في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، وزيادة عدد الأطباء والصيادلة

بمكة المكرمة، على وجه الخصوص، وتعيين مفتش صحي للإشراف على الأعمال التنظيمية بالبلد الحرام(٦١).

وهناك من يذكر أنه كان في مكة المكرمة من يُعالج، حيث إن السيد إسحاق بن عقيل بن عمر العلوت (ت١٢٧١هـ/١٧٥٧م)، شيخ السادة العلوية في زمانه، كان أديبًا شاعرًا بليغًا، وكان يمارس الطب ويداوي الناس داخل المسجد الحرام(٦٢)، ذكره الحضراوي وقال عنه: "وكان- رحمه الله تعالى، طبيبًا حاذقًا، فكان يجلس كل صباح بعد صلاة الحنفي في المسجد الحرام على الدكة التي أمام مدرسته عند باب إبراهيم، مما يلي أول الرواق، والعالم تزدحم عليه لالتماس البركة والمعالجة، فيجس نبض كل مريض فيشخص داءه ويصف له دواءه ابتغاء مرضاته تعالى"(٦٣). وقد ورث ابنه إسماعيل الطب، وأكمل مهمة والده في مداواة الناس(٦٤).

وعلى الرغم من ذلك فكثيرًا ما يقع وباء الكوليرا- كما سبق- ويموت من جرائه خلق من الحجاج والأهالي، فلم تكن وسائل الاحتياطات والوقاية معروفة حينئذ(٦٥).

ثانيًا: المدينة المنورة:

أ- مستشفى الغرباء والفقراء:

يقع فيما مضى- بسبب التوسعات في الحرم النبوي الشريف- بالقرب من باب السلام(٦٦)، ويشغل المستشفى مبنى واسعًا، حيث يتكون من ثلاثة طوابق سعة ثلاثين سريرًا، ويعمل به طبيب وصيدلي. وتقدم المستشفى الخدمات العلاجية والدوائية مجاناً(٦٧)، ووصف بأنه من أحسن المستشفيات التي تقدم وسائل الراحة للمرضى(٦٨).

ب- المستشفى العسكري:

كانت في المدينة المنورة مستشفى عسكري خصصت للجنود، ويتخذه أطباء العسكر النظامية مقرًا لهم(٦٩).

ثالثًا: جدة:

أ- مستشفى جدة العام:

إنه حتى سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، لم يوجد في جدة سوى مستشفى عام واحد، حيث كان به طبيب أول ونائب له، وممرضين أربعة، وصيدلي ومندوب لميناء جدة البحري(٧٠).

ب- المستشفى العسكري:

إنه في عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م، أنشئ في جدة مستشفى عسكريًا، وكانت سعته مائة سرير، والعاملين به أطباء ثلاثة، وذلك حتى عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، وكان يقدم العلاج للمرضى الفقراء بالمجان، وذلك بأمر السلطان عبد الحميد(٧١).

ج- و في عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م، أنشئ في جدة مستشفى آخر، كان يعمل به طبيبان، وثلاثة ممرضين، واثنان من الصيادلة(٧٢).

د- المحجر الصحي:

ضم هذا المحجر الصحي من ذوي المهن الطبية وغيرهم حتى عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م، كلًا من رئيس الهيئة الطبية، وطبيب، وأمين صندوق إدارة المحجر الصحي، وكاتب تركي، وكاتب عربي، وكاتب أجنبي، ورئيس حرس، وموظف للنظافة، وكاتب إدارة التحفظ، ومساعد لكاتب إدارة التحفظ، غير أنه بعد عام، أي ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، لم يكن يوجد فيه سوى موظف للنظافة، وكاتب إدارة التحفظ ومساعده(٧٣).

رابعًا: الطائف:

المستشفى العسكري:

لم يكن بالطائف سوى مستشفى عسكري، والذي شيد من أجل علاج الجنود والمرضى[٧٤]، إلاَّ أن الإدارة العثمانية قامت فيما بعد بنقله إلى مكة المكرمة، وذلك في عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، ومن ثم فقد تركت الطائف بدون مستشفى لعلاج الجنود والمرضى[٧٥].

يذكر بروست في رحلته، عزم الدولة العثمانية على إنشاء المراكز (التشكيلات) الصحية بجانب ما قامت به في مكة المكرمة، فقد قامت بإنشاء مراكز صحية في المدينة المنورة،جزيرةقمران، خاص بالحجاج الهنود والجاويين، وأبو سعد، وغيرها من الأماكن بالحجاز، خصوصًا في مدينة الوجه، وكذلك في جبل الطور[٧٦].

مراكز الحجر الصحي:

انتشرت الأمراض الوبائية والكوليرا كما ذكرنا – على وجه الخصوص – حيث كانت الكوليرا الأسيوية أكثر وأشد فتكًا من الكوليرا الأوروبيّة التي انتشرت عن طريق الهند إلى البلاد الأخرى ، حيث ظهرت الكوليرا لأول مرة في باكستان الشرقية عام ١٢٣٢هـ/١٨١٧م ، هلك بسببها أعداد كثيرة في الهند البريطانية ، وانتشرت في الفترة من عام ١٢٣٤هـ/١٨١٩م حتى عام ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م . حيث ظهرت في نيبال الشمالية ، وبورما ، وسيام ، والصين ، واليابان ، وعبرت المحيط الهندي لتصل إلى مسقط ، وخليج البصرة ، وإيران ، وبحر قزوين ، والقوقاز ، ثم تجاوزت بغداد إلى الأناضول حتى خمدت عام ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م [٧٧].

ولقد حظيت منطقة الحجاز بنصيبها من الوباء في مواسم الحج في الفترة الممتدة من عام (١٢٥٣ – ١٢٦٢هـ / ١٨٣٨ – ١٨٤٦م) حيث انتشرت الكوليرا في مكة والمدينة وكانت سببًا في وفاة خمسة عشر ألف حاج . [٧٨]

ويمكن القول إن ولاية الحجاز كانت أكثر عُرضة للأوبئة بسبب توافد الحجاج إليها من مختلف أقطار العالم ، لذا فإن الأمراض اجتاحت المنطقة ، وأهم أسباب انتشارها:

١- قلة الخدمات الصحية خصوصًا في الأماكن المقدسة عرفات ومنى .

٢- الازدحام الشديد في موسم الحج ، والتغذية والمسكن السيء لكثير من الحجاج .

٣- عدم الاهتمام بالنظافة ، وعدم توافر نظام للصرف الصحي في مكة المكرمة .

٤- انتشار عشرات الذبائح والجيف المتعفنة التي تلوث الهواء في منى .

٥- قلة المخصصات المالية التي تخصص لإدارة الصحة والمحاجر الصحية .

٦- احتكار نقل الركاب على بعض السفن التي تحمل ضعف طاقتها الاستيعابية وعدم الاهتمام بالصحة والنظافة على متنها .

سعت الدولة العثمانية إلى أخذ التدابير اللازمة للحد من انتشار الأوبئة في الحجاز ، والاهتمام بتدابير الصحة والنظافة حتى لا يفلت زمام الحجم من يدها هناك ، مما جعل الإدارة تسعى لاختيار عدد من الأطباء المسلمين الممتازين لدراسة أسباب ظهور المرض والمحافظة على صحة الحجاج بمنى .

كما وافق المجلس الصحي على سلامة الأراضي الإسلامية المقدسة وخلوها من الأمراض . وأسفرت المناقشات التي عقدت بالمجلس الصحي في هذا الشأن عن تقسيم التدابير اللازمة في الحجاز إلى ثلاث مواد :-

١- اتخاذ التدابير اللازمة لمنع التعفن في أماكن نحر الأضاحي .

٢- منع بيع المأكولات والمشروبات الضارة بالصحة في مكة والمدينة أثناء موسم الحج

٣- اتخاذ كافة التدابير الصحية اللازمة أثناء قدوم الحجاج وعودتهم ، خاصة إزاء حجاج الهند لأنها منشأ الكوليرا[٧٩].

كانت الحجاز تعاني من الازدحام الشديد طوال العام مما أدى إلى ظهور الجدري الذي تسبب في وفيات كثيرة ، ولم يفلح الأطباء في مقاومته على الرغم مما بذلوه من جهود ، فلزم ذلك إعداد أربعة أو خمسة من الجراحين المسلمين البارزين لتطعيم الناس في مكة والمدينة وجدة ورابغ .

ونظراً للوضع الاقتصادي المتردي فإن عظام الحيوانات والقمائم كانا يستخدمان كوقود في حمامات مكة مما يؤدي إلى تلوث الهواء والضرر بالصحة العامة(٨٠) .

لقد سعت الهيئات الصحية المؤقتة بالحجاز لإيجاد حلول كفيلة للقضاء على الأمراض والمشكلات الصحية بالحجاز ، وقد أسفرت جهودها عن نتائج إيجابية ، غير أن تلك الهيئات لم تكن كافية ، ولذلك تمت الموافقة على تأسيس نظام صحي دائم في الحجاز ، فأصدر الباب العالي ومجلس الشئون الصحية قرارًا بإرسال الهيئة الأخيرة لدراسة الموقف على أرض الواقع(٨١) .

لقد أولت الدولة العثمانية أهمية لنظام الإدارة الصحية وبذلت جهوداً عظيمة في تطويرها على أن تكون متماشية مع الزيادة المطردة في أعداد الحجاج وانتشار الكوليرا في البلاد التي يأتي منها الحجاج ، وعلى الرغم من ذلك لم يتم القضاء على الكوليرا ، بل جاءت في موجات شديدة متعاقبة جعلت الدولة تتخذ إجراءات وسبلاً جديدة لمواجهتها من ضمنها الحجر الصحي .

نشأة الحجر الصّحّي في كمران وأبي سعد:

أقرّ المؤتمر الصِّحِّي بإسطنبول عام ١٨٦٦/١٢٨٣ أن وباء الكوليرا ينتشر في الحجاز عن طريق السفن والحجاج القادمين من الهند ، ومنها إلى الأماكن التي يتوجه إليها الحجاز ، وتمت التوصية بإنشاء حجر صحي بجوار باب المندب ينتظر به الحجاج القادمون بحرًا خصوصًا من الهند (٨٢).

سعت الدولة العثمانية لتحديد المقر المناسب للحجر الصحي فأرسلت عددًا من لجان المعاينة والهيئات العلمية المختلفة حيث قامت اللجان بزيارة المواقع المقترحة منها : الليث ،

القنفذة ، الحُديدة ، المخا ، جزيرة كمران ، جزيرة بريم ؛ فوقع الاختيار على جزيرة كمران ، لتكون مقرًا للمركز الرئيس للحجر الصحي في البحر الأحمر ، حيث أن مساحتها شاسعة ، ومناخها ملائم ، وتم إنشاء الحجر الصحي في كمران سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م ، كما دعت الحاجة إلى انشاء حجر صحي في جزيرتي أبي سعد والواسطة المقابلتين لجدة ، وتم الانتهاء سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م (٨٣) .

واجه المسئولون عن تأسيس الحجر الصحي العديد من المشكلات منها عدم توفير الأيدي العاملة المستخدمة في إنشائه ، فقد كانت الأيدي العاملة المحلية غالية الأجر وناقصة الخبرة في الوقت نفسه ، كما كانت الأيدي العاملة المستقدمة من أوروبا غير معتادة على مثل ذلك المناخ ، ولذا كانوا سرعان ما يتعرضون للإصابة بالأمراض مما يجعلهم يعودون إلى بلادهم ، بالإضافة إلى أنه لم تكن هناك تقنية تساعد على حر الآجر والتجصيص .

وقد واجهوا مشكلة قلة الأحجار التي كان من العسير استيرادها من الخارج ، ولم يكن متوافرًا غير الطين لذا كان العاملون مضطرين لاستخدام الأدوات المحلية المتوفرة بسبب ارتفاع أسعار المستلزمات المستوردة وتردي الأحوال المالية (٨٤) .

خامسًا: البعثات الطبية:

كانت ترافق قوافل الحج عيادات السفارات الأجنبية وتضم بعض الأطباء- وربما بعض الصيادلة- والمجبرين، ومعهم الأدوية والعقاقير والأشربة، لعلاج المرضى من الحجاج والمرافقين، وإسعاف المصابين منهم أثناء رحلة الحج في الذهاب والإياب ؛ وذلك بسبب عدم كفاية المؤسسات العلاجية في الحجاز ، إضافة إلى رغبة الدول الأجنبية في التودد ، وكسب تعاطف الأهالي(٨٥).

وأخيرًا: ما قام به الأفراد والأسر والجماعات في الحجاز بعامة ومكة المكرمة بخاصة، فهو ما يلي:

كان يوجد بمكة المكرمة أربع صيدليات نشأت على التوالي: فأول صيدلية كانت بالمروة، أسسها إبراهيم حسنين، ثم تلاه شخص تركي يدعى عدنان، أسس صيدلية في وسط شارع المسعى، وتلا ذلك صيدلية أسسها رمضان أفندي، وهو رجل من مجاوري الهنود، ثم قام نفر من الأتراك المقيمين بمكة المكرمة وأسسوا صيدلية بقاعة الشفاء سُميت "مجاز أجزخانة سي" (٨٦).

إنه قد كانت من المهن المشهورة بمكة المكرمة مهنة بيع العقاقير الطبية النباتية والبهارات وللقائمين بها شيخ كبقية المهن،وكان جمهرتهم في قسم من شارع المدعي (سابقًا)، – لأن كل ما سيأتي ذكره (سابقاً) أُزِيلَ في توسعة الحرم الشريف– وكانت لقسم منهم– أيضًا– دكاكين بمحلة الشامية (سابقًا) على مقربة من رحية قاعة الشفا، بجوار المسجد الحرام (سابقًا)، وكان معظم من يمتهن ذلك من الجالية الهندية، وكان أهل مكة المكرمة يطلقون على باعة هذه العقاقير "العطارين"(٨٧).

ويذكر الكردي أن دكاكين العطارة كانت تباع فيها شيء من الأدوية المستخرجة من الأعشاب والحبوب الهندية، وفيها بعض الأطباء الهنود، الذين يعالجون المرضى– أيضًا– بالعقاقير اليونانية(٨٨).

كما أن هناك من يذكر أن تعليل تسمية قاعة الشفا بذلك لكثرة ما كان يشغل حوانيتها من ممارسي الطب الهندي واليوناني، غير أن ذلك ما كان إلاَّ في القرون الأخيرة، وأنه أعياه أن يعرف سبب التسمية، وأنه– أيضًا– قرأ في التراجم أن امرأة كانت تدعى الشفا من قريش، فقال لعلها كانت تسكن ثمة،ولها قاعة فنسبت إليهاوصرفت بمرور الأيام والأعوام. وأنه لما كانت رقعة مكة المكرمة صغيرة وسكانها قليلين– رغم موسم الحج– كان هذا القدر من الأطباء والعقاقير الهندية واليونانية كافياً لهم، علاوة على حسن نيتهم. ثم لما كان عهد الحكومة السعودية، واتسعت رقعة مكة المكرمة اتساعًا عظيمًا، وكثر الناس بها كثرة

عظيمـة، ممـا يسـتلزم هـذا كثـرة وجـود الأطبـاء مـن مختلـف الأجنـاس وزادت المستشـفيات والصيدليات[٨٩].

هذا، وقد يَجْمَعُ بعض الحلاقين بين حرفة الحلاقة وبين حرفة الحجامة، وحرفة الختان، وعليـه فـإن الحـلاق بمكـة المكرمـة، حـلاق وحجّـام ومـزيّن– الـذي يخـتن الأولاد– وذلـك لـذات الحلاقة اللازمة[٩٠].

الهوامش:

(١) السيد محمد عارف بن السيد أحمد المنير الحسيني الدمشقي : كتاب السعادة النامية الأبدية في السكة الحجازية الحديدية، طبعة جامعة واين، ١٩٧١م، ص ٦؛ صالح موسى درادكه، طرق الحج الشامي في العصر الإسلامي (بتركيز على الطرق في شرق الأردن)، عَمَّان- الأردن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٢٤٧.

(٢) عبد العزيز دولتشين: الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين إلى الحجاز سنة (١٨٩٨-١٨٩٩م)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص٣١٢.

(٣) دائل بن علي الخالدي : "الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦- ١٩٠٩م)"، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م ، ص٣٧٣.

(٤) صابرة مؤمن إسماعيل : جدة خلال الفترة (١٢٨٦-١٣٢٦هـ/ ١٨٦٩-١٩٠٨م)، دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٨هـ، ص١٥٢؛ عماد طاهر، "الأوبئة والأمراض"، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ٤/ ٩٧؛ Al- Amr, Sale Muhomed, The Hijaz Under Ottoman Ruie 1869-1914 Othoman Vale, The Sharif & Mecca and the Growth British Influence, Riyadh Unviversity, Riyadh, 1987, P.44.

(٥) أبو الركب: سمي بذلك لأنه يصيب المريض بآلام حادة تبدأ من الركب وأعصاب الرجلين، ثم يصاب الجسم كله بحمى شديدة وألم في جميع مفاصله، فلا يستطيع المصاب القيام أو الحركة، ويستمر ذلك لمدة ثلاثة أيام، حيث تزول الحمى، ويبقى

الضعف والإدراك في الجسم مدة، ثم يزول المرض، ولا يتسبب ذلك المرض في حدوث الوفاة للمريض المصاب به. انظر: أحمد أمين بيت المال، تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السير، مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، الرقم ١٢٣/ تاريخ، ص٢٦٥- ص٢٦٦؛ عبد الحكيم حكمت، "المسح الطبي لولاية الحجاز، بداية سنة ١٣٠٤ رومية= ١٨٨٨م= ١٣٠٦هـ"، ترجمة وتعليق: محمود الحاج قاسم محمد، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة الرابعة والعشرون، ١٤١٩هـ، ص١٧٠.

(٦) الخالدي : "الإدارة العثمانية"، ص٣١٥.

(٧) بيت المال : تاج تواريخ البشر، ص٢٦٥- ص٢٦٧.

(٨) حكمت : "المسح الطبي"، ص١٧٠.

(٩) الأرشيف العثماني : تصنيف Y.MTV200168.

(١٠) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى (١٩٧١)- الطبعة الثانية آذار (مارس) ١٩٧٨م ، ٤/ ٤٠١.

(١١) يفيم ريزفان : الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين إلى مكة المكرمة، ١٨٩٨-١٨٩٩م، (في) أحمد محمد محمود، جمهرة الرحلات (٢) رحلات الحج، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٣٠هـ، ٢/ ٢٤٣.

(١٢) جواد علي : المفصل، ٨/ ٤٠٥- ٤٠٦.

(١٣) الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد : ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، المطبعة الخيرية بمصر، القاهرة، ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، ٣١٧/٧، (دبل).

(١٤) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل : ت٢٥٦هـ/٨٦٩م، الجامع الصحيح (ضمن كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج١٠، كتاب الطب، باب لاهامة، حديث رقم: ٥٧٧١، ٢٥١.

(١٥) الغازي، عبد الله بن محمد : ت ١٣٦٥/١٩٥١م، إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط١، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ٢/ ٤٥٩.

(١٦) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي : ت٨٢٣هـ/١٤١٥م، القاموس المحيط، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٦٩.

(١٧) جواد علي : المفصل، ٨/ ٤٠٥، ٤٠٧.

(١٨) سلوى سعد الغالبي : "وباء الكوليرا في الحجاز حج عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م، من خلال تقرير القنصلية البريطانية في جدة"، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الثامنة والثلاثون، شوال ١٤٣٣هـ، ص٢١٣.

(١٩) دحلان، أحمد بن زيني : ت١٣٠٤هـ/١٨٨٧م، أمراء البلد الحرام: منذ أولهم في عهد الرسول ﷺ حتى الشريف الحسين بن علي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٣٤٩؛ وانظر وقارن: سنوك هورخرونيه، ك.، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، نقله إلى العربية: علي عودة الشيخ، أعد صياغته وعلق عليه: محمد محمود السرياني، ومعراج نواب مرزا، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ١/٢٧٩؛ الخالدي، "الإدارة العثمانية"، ص٣٤٤؛ جولدن صاري يلدز، الحجر الصحي في الحجاز (١٨٦٥-١٩١٤م) ترجمة: عبد الرازق بركات، مراجعة: مسعد الشامان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٣٩؛ الخالدي: "الإدارة العثمانية"، ص٣٤٤.

(٢٠) بينما هناك من يذكر أنها كانت في أواخر عام ١٢٤٧هـ/١٨٣١م، والتي جاءت من الهند. انظر: ريزفان، الرحلة السرية، ص٣٤٤- ص٣٤٥.

(٢١) سعد الدين عثمان أونال ، عايض خزام الروقي ، محمد علي الشريف : دراسة عن الخدمات الصحية المقدمة للحجاج والأهالي بمكة المكرمة والمدينة المنورة وتطورها خلال المراحل التاريخية من القرن العاشر الهجري حتى بداية العهد السعودي ، مركز

أبحاث الحج ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، جـ١ ، ص٥٣ ؛ ريزفان : الرحلة السرية، ص٣٤٥؛ يلدز، الحجر الصحي، ص٤٣؛ طاهر، "الأوبئة والأمراض"، ٤/ ١٠١.

(٢٢) إنه في عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، حج محمد صادق باشا بمعية الوالي محمد سعيد باشا، والي مصر (انظر: محمد صادق باشا : الرحلات الحجازية ، بدر للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٤).

(٢٣) هناك من يحدد مدة استمرار الفتك بأنها من ٢٦ مارس حتى ٢٤ أبريل عام ١٨٦٥م (أنظر: طاهر، "الأوبئة والأمراض"، ٤/ ١٠١).

(٢٤) هناك من يذكر بأنه راح ضحية ذلك الوباء عدد مهول، غير محدد على وجه الدقة، وإن كانت هناك روايات تقول أن العدد يتراوح بين ١٥٠٠٠- ٣٠٠٠٠. (أنظر: ليدز : الحجر الصحي، ص ٤٥؛ طاهر : "الأوبئة والأمراض"، ٤/ ١٠١).

(٢٥) الصباغ، محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي : ت١٣٢١هـ/١٩٠٩م، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط١، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ٢/٨٨٤- ٨٨٥، ٨٨٧؛ الغازي، إفادة الأنام، ٢/ ٤٥٨، ٤٦٠.

(٢٦) خيل ساحلي أوغلي : "مخطوطات عن الجزيرة العربية في مكتبة جامعة اسطنبول"، الندوة الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٢/١٥٢.

(٢٧) جولدن صاري يلدز : الحجر الصحي في الحجاز ، ١٨٦٥ – ١٩١٤م ، ترجمة عبد الرزاق بركات ، مراجعة سعد شامان ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، ص ٤٨- ٦٣.

(٢٨) طاهر : "الأوبئة والأمراض"، ٤/ ١٠٢.

(٢٩) يلدز : الحجر الصحي، ص ١٣٩- ١٤٠.

(٣٠) أدريان بروست : "رحلة بروست إلى الحجاز عام ١٨٩٣م"، مراجعة: سهيل صابان،

الفيصل، العدد ٢٧٠، الرياض، ذو الحجة ١٤١٩هـ/أبريل١٩٩٩م، ص ١٢٧.

(٣١) صادق باشا : الرحلات الحجازية، ص ١٤٤- ١٤٥.

(٣٢) الصرة: أو الصر، عبارة عن المال المدفوع كأعطيات تمنحها الدولة العثمانية للقبائل المتحكمة في طريق الحج لشراء طاعتها وحمايتها للقافلة، كما كانت ترسل أيضًا لإعانة الحرمين الشريفين، وبما يحتاجون إليه، وأشراف مكة المكرمة والمدينة المنورة والعلماء وفقراء الأماكن المقدسة وغيرها. (انظر: عبد الكريم رافق : "قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني"، مجلة دراسات تاريخية، العدد السادس، جامعة دمشق، ذو الحجة ١٤٠١هـ/ شرين الأول (أكتوبر) ١٩٨١م، ص٩- ١٢).

(٣٣) صادق باشا : الرحلات الحجازية، ص ١١٢- ١١٣.

(٣٤) (انظر: وثيقة رقم ٣ / ١٠٧ / و ح ج . مركز أبحاث الحج عن أرشيف رئاسة الوزراء – يلدز – الصدارة – ١٣ / ٢٩ في ١٢٩٨/١١/٨ ؛ ووثيقة رقم ١٨ / ١٠٧ / و ح ج عن أرشيف رئاسة الوزراء العثماني – يلدز – الصدارة – ١٠٦/١٦٨ في ١٢٩٨/١٢/٢هـ).

(٣٥) محمد أمين : "موسم حج سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م من خلال تقرير دبلوماسي فرنسي"، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الثامنة والثلاثون، شوال ١٤٣٣هـ، ص١٦٠.

(٣٦) المِحمَل: بكسر الميم الأولى وفتح الثانية، هو آلة المنحمة، إلاَّ أنه يُحمل على أعلى ظهر الجمل، بخلاف المِنّحة تحمل بين جملين أو بغلين. (انظر: القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي، ت٨٢١هـ/١٤١٨م، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، طبعة دار الكتب المصرية، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٢٠م، ١٣٢/٢). لقد استعملت كلمة محمل منذ عدة قرون لترمز إلى الصندوق الخشبي المربع، يعلوه قبة من فضة مزينة بالحلي والنفائس، والتي تحوي كسوة الكعبة المشرفة، والحجرة النبوية. ويحمله جمل قوي، ومزين هو الآخر بمختلف الحلي ومغطى بأفخر القماش من حرير أصفر أطلس المزركش بآيات قرآنية وجلود جميلة. (انظر: القلقشندي : صبح الأعشي، ٥٠٧/٤).

(٣٧) بيت المال : تاج تواريخ البشر، ص٢٤٧.

(٣٨) بيت المال : تاج تواريخ البشر، ص٢٥٣؛ يلدز : الحجر الصحي، ص١٤٣.

(٣٩) محمد عمر رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجري، منشورات نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٢٨.

(٤٠) يلدز : الحجر الصحي، ص ١٤٩؛ طاهر : "الأوبئة والأمراض"، ٤/ ١٠٢؛.

(٤١) بيت المال : تاج تواريخ البشر، ص٣٠٥.

(٤٢) أحمد محمد محمود : جمهرة الرحلات (١) رحلات الحج ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ١/ ٣٠٦.

(٤٣) عن سيرته الذاتية وما دار حول الرحلة والتقرير، تفصيليًّا، انظر: عباس طاشكندي: "بروست، رحلة"، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ٤/٦٦٧-٦٦٨.

(٤٤) رحلة بروست : ص ١٢٦.

(٤٥) رحلة بروست : ص ١٢٧.

(٤٦) رفيع : مكة، ص٢٢٨.

(٤٧) رحلة بروست : ص ١٢٦؛ يلدز : الحجر الصحي، ص ٤٧؛ طاهر : "الأوبئة والأمراض"، ٤/ ١٠١- ١٠٢.

(٤٨) الخالدي : "الإدارة العثمانية"، ص٣٧٤؛ محمد الأمين المكي : خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ترجمة: ماجدة مخلوف، ط٢، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٩٠.

(٤٩) رحلة بروست : ص١٢٦؛ الخالدي : "الإدارة العثمانية"، ص٣٢١.

(٥٠) قديماً يطلق على المستشفيات لفظة: البيمارستان، أو المارستان، فهي تعني المستشفى لمعالجة المرضى والمصابين وحالات الخلل العقلي، أي الجنون، ومن ثم فهي محل الإقامة لهم لمزاولة علاجهم. كما أنه لفظ فارسي (إيراني) معرب مركب

من بيما، أي مريض، وستان، أي محل، ثم اختصر وأصبح مارستان. (أنظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص٧٤١). وهناك من يقول له بالتركية خسته خانة، أي محل المرضى، كما يطلق على المكان المجهز لإقامة المصابين عقلياً (المجانين). (أنظر: المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي : ت٨٥٤هـ/١٤٤٢م، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣م، ٣/١، ص٧١٦٥(٦). والظاهر أن هذه التسمية بقيت على أصلها الفارسي، لأن الفرس كانوا قد عرفوا المستشفيات، وخاصة في مدرسة الطب جُنْديسابور، ولأن الأطباء الذين تسلموا زمامها من الفرس والسريان أطلقوا هذه التسمية التي درجوا عليها، (أنظر: آمنة حسين محمد علي جلال : طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٨-١٥١٧م)، الأمانة العامة لمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٤٢٠، وهي التي تعرف بالمستشفى.

(٥١) سالنامة ولاية الحجاز، المطبعة الأميرية، مكة المكرمة، ١٣٠٣هـ، ص٥٨؛ إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، محلاة بمئات الصور الشمسية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ١٨٤/١؛ الخالدي، "الإدارة العثمانية"، ص٣٧٧.

(٥٢) دولتشين : الرحلة السرية، ص٢٠٠.

(٥٣) رفعت باشا : مرآة الحرمين، ١٨٤/١-١٨٥.

(٥٤) محمد المكي : خدمات العثمانيين، ص٩٠.

(٥٥) تولى عثمان نوري باشا ولاية الحجاز في عشرين من شهر شعبان سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م، بعد سلفه أحمد عزت باشا الأرزنجاني، من قبل الدولة العثمانية، وذلك في أواخر إمارة الشريف عبد المطلب بن غالب، وأوائل إمارة الشريف عون الرفيق. تفصيليًا، انظر: الكردي، محمد طاهر الكردي المكي : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، طبعة جديدة، بإشراف: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة

الأسدي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٣، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٦/٣٣٦-٣٣٨.

(٥٦) سالنامة، ولاية الحجاز ١٣٠٣هـ، ص٦٣ ؛ سالنامة ولاية الحجاز ، ١٣٠١هـ ، ص٦٥ .

(٥٧) رفيع : مكة، ص٢٢٨.

(٥٨) هي عبارة عن مستشفى للمرضى من الفقراء والمساكين والأهالي. أنظر: الغازي : إفادة الأنام، ٥/٢٦١.

(٥٩) محمد المكي : خدمات العثمانيين، ص٢٣؛ الغازي : إفادة الأنام، ٥/٢٧٣؛ الكردي : التاريخ القويم، ٦/٣٣٧.

(٦٠) محمد المكي : خدمات العثمانيين، ص٢٣.

(٦١) رحلة بروست: ص١٢٦-ص١٢٧.

(٦٢) عباس طاشكندي : "إسحاق عَقيل العَلَوي، عيادة"، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ٢/٤٠٥.

(٦٣) الحضراوي، أحمد بن محمد، نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق: محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م، ١/٢٠٧.

(٦٤) طاشكندي : "إسحاق"، ٢/٤٠٥.

(٦٥) رفيع : مكة، ص٢٢٨.

(٦٦) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٣هـ، ص١٧٥.

(٦٧) دولتشين : الرحلة السرية، ص٢١٤.

(٦٨) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٣هـ، ص١٧٥.

(٦٩) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٣هـ، ص١٧٥.

(٧٠) سالنامة ولاية الحجاز ١٣٠٣هـ، ص٩٨.

(٧١) إسماعيل : جدة، ص١٥٢.

(٧٢) إسماعيل : جدة، ص١٥٣.

(٧٣) الخالدي : الإدارة العثمانية ، ص٣٨٢ .

(٧٤) محمد المكي، خدمات العثمانيين، ص٩١.

(٧٥) الخالدي، "الإدارة العثمانية"، ص٣٨٠.

(٧٦) رحلة بروست، ص١٢٦- ص١٢٧.

(٧٧) يلدز : الحجر الصحي في الحجاز ١٨٦٥ – ١٩١٤ ، ص٢٣١.

(٧٨) ينظر : ماجدة مخلوف : الخدمات والمرافق العامة في العهد العثماني ٩٢٣ – ١٣٣٥هـ/١٥١٧ – ١٩١٦م ، ضمن كتاب الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، المحور الثاني ، ص١٨١.

(٧٩) الخالدي : الإدارة العثمانية ، ص٣٧٣ ؛ للمزيد انظر : محمد شاكر القيصري ، الأحوال الصحية العامة في الحجاز عام ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م ، ترجمة مصطفى زهران ، مراجعة سعد بن سويلم الشامان ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م ، ص٨٩.

(٨٠) يلدز : الحجر الصحي ، ص٥٥ ، ٥٦.

(٨١) أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة صالح سعداوي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إسطنبول ١٩٩٩م ، ج٢ ، ص٥٨٧.

(٨٢) أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ج٢ ، ص٥٨٧.

(٨٣) ينظر : أحمد الغزاوي : جزر المملكة العربية السعودية في البحر الأحمر والخليج العربي ، مرنيا ، الرياض ٢٠٠٧م ، ص١١٤ ؛ الخالدي : الإدارة العثمانية ، ص٣٨٥ ، ٣٨٨ ، (أخذت الدولة العثمانية بإجراء تدابير صحية كبيرة في الحجاز

للحفاظ على صحة الحجاج والاهتمام بالمحاجر الصحية في جزيرة كمران والواسطة وأبي سعد ، وتأسيس محجر آخر بجدة في منطقة الرويس ، وترميم مجاري المياه والاهتمام بالنظافة في أسواق مكة وشوارعها وإرسال أطباء وصيادلة وتوسيع مستشفى الغرباء ، واتخاذ التدابير الصحية اللازمة في منى وعرفات . عن صورة وثيقة موجودة في مركز أبحاث الحج ورقها في المركز ١٠٧/٤١/و ح ج عن أرشيف رئاسة الوزراء العثماني – يلدز – الصدارة ، معروضات الصدارة – ٢٤٣ في ١٣١١/٥/١٧هـ) .

(٨٤) ينظر : يلدز ، الحجر الصحي ، ص١٢٧.

(٨٥) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ت٨٥٤هـ/١٤٤٢م، الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٩٨-١٠٢ ؛ الخالدي ، الإدارة العثمانية ، ص٣٨١ .

(٨٦) رفيع، مكة، ص٢٢٨- ص٢٢٩.

(٨٧) رفيع، مكة، ص١٥٧.

(٨٨) الكردي، التاريخ القويم، ٢/٢٨٧-٢٨٨.

(٨٩) عبد الله محمد أبكر، صورٌ من تُراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري، مؤسسة علوم القرآن، بيروت- منار للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١٩٢- ص١٩٣.

(٩٠) تفصيلياً، أنظر: رفيع، مكة، ص١٩٠- ص١٩١؛ أبكر، تُراث مكة المكرمة، ص١٥٥- ص١٦٢.

قائمة المصادر والمراجع والرسائل الجامعية والموسوعات والندوات والدوريات

أولًا: المصادر :

أ – الوثائق :

١- الأرشيف العثماني : تصنيف Y.MTV200168.

٢- وثيقة رقم ٣ / ١٠٧ / و ح ج . مركز أبحاث الحج عن أرشيف رئاسة الوزراء – يلدز – الصدارة – ١٣ / ٢٩ في ١٢٩٨/١١/٨ .

٣- وثيقة رقم ١٨ / ١٠٧ / و ح ج عن أرشيف رئاسة الوزراء العثماني – يلدز – الصدارة – ١٠٦/١٦٨ في ١٢٩٨/١٢/٢هـ

ب – المخطوطات :

٤- إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤هـ.

٥- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ت٢٥٦هـ/٨٦٩م، الجامع الصحيح (ضمن كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري)، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج١٠.

٦- بيت المال، أحمد أمين، تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السبر، مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، الرقم ١٢٣/ تاريخ.

٧- الحضراوي، أحمد بن محمد، نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق: محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م.

٨- دحلان، أحمد بن زيني، ت١٣٠٤هـ/١٨٨٧م، أمراء البلد الحرام: منذ أولهم في عهد الرسول، ﷺ حتى الشريف الحسين بن علي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٩- الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد، ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، المطبعة الخيرية بمصر، القاهرة، ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م.

١٠- سالنامة ولاية الحجاز، المطبعة الأميرية، مكة المكرمة، ١٣٠٣هـ.

١١- الصباغ، محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي، ت١٣٢١هـ/١٩٠٩م، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط١، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٢- الغازي، عبد الله بن محمد، ت ١٣٦٥/١٩٥١م، إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط١، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٣- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت٨٢٣هـ/١٤١٥م، القاموس المحيط، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٤- القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي، ت٨٢١هـ/١٤١٨م، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، طبعة دار الكتب المصرية، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٢٠م.

١٥- الكردي، محمد طاهر الكردي المكي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، طبعة جديدة، بإشراف: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٣، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٦- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، ت٨٥٤هـ/١٤٤٢م، الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٧- ـــــــ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣م.

ثانيًا: المراجع:

١- العربية:

١٨- أحمد الغزاوي : جزر المملكة العربية السعودية في البحر الأحمر والخليج العربي ، مرنيا ، الرياض ، ٢٠٠٧م .

١٩- آمنة حسين محمد علي جلال، طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٨-١٥١٧م)، الأمانة العامة لمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٠- أحمد محمد محمود، جمهرة الرحلات (١)، رحلات الحج ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢١- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى (١٩٧١)- الطبعة الثانية آذار (مارس) ١٩٧٨م

٢٢- دائل الخالدي، "الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦- ١٩٠٩م)"، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٢٣- صابرة مؤمن إسماعيل، جدة خلال الفترة (١٢٨٦-١٣٢٦هـ/ ١٨٦٩-١٩٠٨م)، دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٨هـ.

٢٤- عبد العزيز دولتشين، الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين إلى الحجاز سنة (١٨٩٨-١٨٩٩م)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

٢٥- عبد الله محمد أبكر، صورٌ من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري، مؤسسة علوم القرآن، بيروت- منار للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٦- محمد صادق باشا، الرحلات الحجازية ، بدر للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٢٧- محمد عمر رفيع، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، منشورات نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢- المترجمة:

٢٨- أكمل الدين إحسان أوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة : صالح سعداوي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إسطنبول ، ١٩٩٩م .

٢٩- جولدن صاري يلدز، الحجر الصحي في الحجاز (١٨٦٥-١٩١٤م)، ترجمة: عبد الرازق بركات، مراجعة: سعد الشامان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٣٠- سنوك هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، نقله إلى العربية: علي عودة الشيخ، أعد صياغته وعلق عليه: محمد محمود السرياني، ومعراج نواب مرزا، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣١- محمد الأمين المكي، خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ترجمة: ماجدة مخلوف، ط٢، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣٢- محمد شاكر القيصري، الأحوال الصحية العامة في الحجاز عام ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م ، ترجمة مصطفى زهران ، مراجعة سعد بن سويلم الشامان ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م .

٣٣- يفيم ريزفان، الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين إلى مكة المكرمة، ١٨٩٨-١٨٩٩م، (في) أحمد محمد محمود، جمهرة الرحلات (٢) رحلات الحج، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٣٠هـ.

٣- الأجنبية:

34- Al- Amr, Sale Muhomed, The Hijaz Under Ottoman Ruie 1869-1914 Othoman Vale, The Sharif & Mecca and the Growth British Influence, Riyadh Unviversity, Riyadh, 1978.

ثالثاً: الموسوعات:

٣٥- عباس طاشكندي: "بروست، رحلة"، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٣٦- عباس طاشكندي: "إسحاق عَقيل العَلَوي، عيادة"، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، المجلد الثاني، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٣٧- عماد طاهر، "الأوبئة والأمراض، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، المجلد الرابع، ص٩٧- ص١٠٥.

رابعًا : الندوات:

٣٨- خيل ساحلي أوغلي، "مخطوطات عن الجزيرة العربية في مكتبة جامعة اسطنبول"، الندوة الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

خامسًا: الدوريات:

٣٩- أدريان بروست، "رحلة بروست إلى الحجاز عام ١٨٩٣م"، مراجعة: سهيل صابان، الفيصل، العدد ٢٧٠، الرياض، ذو الحجة ١٤١٩هـ/أبريل١٩٩٩م.

٤٠- سلوى سعد الغالبي، "وباء الكوليرا في الحجاز حج عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م، من خلال تقرير القنصلية البريطانية في جدة"، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الثامنة والثلاثون، شوال ١٤٣٣هـ.

٤١- دولتشين ، عبدالعزيز : المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، الكويت . عدد ٨٨ ، سنة ٢٢، ٢٠٠٤م .

٤٢- عبد الحكيم حكمت، "المسح الطبي لولاية الحجاز، بداية سنة ١٣٠٤ رومية= ١٨٨٨م= ١٣٠٦هـ، ترجمة وتعليق: محمود الحاج قاسم محمد"، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة الرابعة والعشرون، ١٤١٩هـ.

٤٣- محمد أمين، "موسم حج سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م من خلال تقرير دبلوماسي فرنسي"، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الثامنة والثلاثون، شوال ١٤٣٣هـ.